

الاستعمار الفرنسي غرب أفريقيا السنغال أنموذجا *Colonisation française de l'Afrique de l'Ouest Sénégal. Modèle*

بورنان نجاة

جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله (الجزائر). bourananenajat@gmail.com

تاريخ النشر: 2024/ 04 /30

تاريخ القبول: 2024/ 04 /14

تاريخ الإستلام: 2023/ 05 /22

ملخص:

اعترف الكثير من الأوروبيين في مقالاتهم وكتبهم بأنهم ظلموا القارة الإفريقية وأهلها، فقد حطموها وجزؤها، ولو أنهم تركوها على ما كانت عليه قبل غوها، لطورها أهلها على أسس غير الأسس التي جاء بها المستعمرون، كانت الاختلافات بين أنواع الاستعمار هي اختلافات في الدرجة لا في النوع، وفي الأسلوب لا في المضمون، ويمكن القول أن القارة الأفريقية واجهت بين سنوات 1880 و1935 تحديا بالغ الخطورة، هو تحدي الاستعمار. باستثناء ليبيريا، تم إخضاع منطقة غرب أفريقيا بكاملها للسيطرة الاستعمارية الغربية الأوربي، ولم يحدث من قبل على مر التاريخ المعروف للقارة الأفريقية، أن شهدت مثل هذا النشاط العسكري وذلك العدد الكبير من الغزوات والحملات ضد الدول والمجتمعات الإفريقية.

وكان أبرز ما شهدته الحملات الفرنسية في غرب أفريقيا احتلال منطقة السنغال. فابتداء من عام 1891 أصبح الفرنسيون مسؤولون عن إدارتها ولجؤوا إلى أسلوب الغزو العسكري الذي أثار ردود فعل نضالية من طرف سكان المنطقة.

الكلمات المفتاحية: غرب أفريقيا، السنغال، الاستعمار الفرنسي، المقاومة، السياسة الفرنسية.

Résumé :

De nombreux Européens ont admis dans leurs articles et leurs ouvrages qu'ils avaient fait du tort au continent africain et à ses peuplades. Ils l'avaient détruit et fragmenté, et s'ils l'avaient laissé tel qu'il était avant leur invasion, elle serait certainement développée par ses habitants sur des bases autres que celles apportées par les colonialistes.

Les différences entre les types de colonialisme étaient des différences de degré plutôt que de type, et de style plutôt que de contenu. On peut dire que le continent africain a fait face entre les années 1880 et 1935 à un défi très sérieux, qui est le défi du colonialisme.

Toute la région de l'Afrique de l'Ouest, à l'exception du Libéria, a été soumise à la domination coloniale européenne, et jamais auparavant dans l'histoire du continent africain elle n'avait été témoin d'une telle activité militaire et d'un si grand nombre d'invasions et de campagnes contre les pays et les sociétés africaines.

La caractéristique la plus marquante des campagnes françaises en Afrique de l'Ouest fut l'occupation du Sénégal. À partir de 1891, les Français sont devenus responsables de son administration et ont eu recours à la méthode de l'invasion militaire, ce qui a suscité des réactions militantes des habitants de la région.

Mots clés: Afrique de l'ouest – Sénégal – la colonisation française – l'Insurrection – Politique française.

مقدمة

بدأت طلائع الاستعمار الأوروبي على القارة الإفريقية، منذ الحركة الاستعمارية القديمة، التي عرفت باسم حركة الكشف الجغرافية، خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلادي، والتي تزعمها مغامرون إسبان وبرتغاليون وإيطاليون. حيث فتحت الكشف الجغرافية باب الاستعمار الأوروبي على مصراعيه في الشرق والعالم الجديد وأستراليا منذ نهاية القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر، وقام التنافس الاستعماري بين إسبانيا والبرتغال ثم بينهما وبين هولندا وإنجلترا ثم بين إنجلترا وفرنسا، وأسفر هذا التنافس عن ضياع ممتلكات البرتغال في الشرق وتصفية الأملاك الفرنسية في الهند وأمريكا وأصبحت إنجلترا سيدة البحار وصاحبة أكبر إمبراطورية فيما وراء البحار، فشهد القرن الثامن عشر والتاسع عشر بصفة خاصة تنافسا استعماريًا حادا بين إنجلترا وفرنسا

وبعد انتهاء حروب نابليون الأول بعد انهزام هذا الأخير في معركة واترلو سنة 1815 ثم المسألة الشرقية سنة 1876-1878، تفرغت دول أوروبا الغربية والوسطى للحركة والنشاط الاستعماري، وبدأ عصر جديد من التنافس الدولي للاستيلاء على مناطق النفوذ، والسيطرة الاستعمارية على بلدان جديدة من العالم، خاصة في إفريقيا وآسيا. وانتشرت مظاهر الثورة الصناعية التي كانت قد رأت النور أول الأمر في إنجلترا بداية القرن الثامن عشر، وأهم ما ميز هذا التحول الصناعي امتداد السكة الحديدية، وتكاثر الآلات والمداخن العالية التي شغلت مصانع النسيج والحديد والصلب ومناجم الفحم الحجري. وقد صاحب ذلك التطور في وسائل المواصلات خاصة القطارات والباخرات، ومكنت المصانع من إكثارات الإنتاج، أتاحت وسائل النقل تسويق هذا الإنتاج، مما يفسر حركة الاستعمار في القرن التاسع عشر حيث كانت المصانع المذكورة بحاجة إلى أسواق خارجية لتسويق الإنتاج وإلى مواد أولية لتزويد الآلات وتمكينها من الزيادة فيه

وقد تضافرت عدة عوامل لتقوية هذا التنافس، واتجه نشاط الدول الاستعمارية إلى استعمار قارتي إفريقيا وآسيا، ومنطقتي الشرق الأقصى وجزر المحيط الهادي، واحتد الصراع على إفريقيا، بين كل من فرنسا، إنجلترا، بلجيكا، البرتغال، ألمانيا وإيطاليا وتعارضت أطماعها وكاد الصراع أن يتحول إلى مواجهات عسكرية فيما بينها، في أكثر من منطقة برز الاستعمار الأوروبي في أفريقيا بشكل خاص في القرن التاسع عشر، وتطور في أساليبه ووسائله وأهدافه، والنتائج التي ترتبت عليه حتى خيل للبعض إنه ظاهرة جديدة مرتبطة بالقرن التاسع عشر فحسب

وغير الأساليب المعروفة في أفريقيا تغييرا جذريا، حيث فرض أسلوبا جديدا من الحياة لم يألفه ويتفهمه الإنسان الإفريقي، فحل نظام العقوبات الأوروبي، محل الشريعة الإسلامية والأعراف التقليدية الإفريقية، فجاءت طريقة الحكم ووضع القوانين التي قام بها الأوروبيون في

أفريقيا، عرقية وارتجالية فلم يكن لهم اطلاع أو معرفة بالأقاليم وسكانها، فكانوا يجهلون حدود انتشار القبائل والممالك، لكي يسنوا، لكل منها أنظمة وقوانين تتماشى ما ألفوه من قبل، وكانت النتيجة أن أصبحت قبيلتين أو شعبين يخضعان لإدارة واحدة ما تقبله قبيلة ترفضه أخرى، كما كانت القوانين والتشريعات والأنظمة تصدر من هيئات الاحتلال الذين لا يمثلون مصلحة الشعب الإفريقي .

واتسمت الحركة الاستعمارية الحديثة بالشراسة والمكر والقتل والتشريد الجماعي للسكان الأصليين وأفقارهم وتجهيلهم وعزلهم عن كل مظاهر الحياة المدنية الجديدة والمبالغة في استغلال خيرات بلدانهم الاقتصادية، وذلك مما عمق الفارق الحضاري بين شعوب أوروبا وشعوب هذه البلدان، لقد امتصت أوروبا كل خيرات هذه البلدان وإمكاناتها الاقتصادية وأورثتها الجهل والفقر والآفات الاجتماعية المختلفة أولا- دوافع الاستعمار الفرنسي في أفريقيا

هيمنت فرنسا على الساحة الأوروبية مطلع القرن التاسع عشر مع نابليون الذي خاض حروبا مدمرة عرفت في تاريخ أوروبا بالحروب النابليونية، استطاع خلالها الهيمنة على إيطاليا والنمسا وألمانيا والوصول إلى روسيا وفرض حصار اقتصادي على بريطانيا والمرحلة انتهت بهزيمته في معركة واترلوا 1815 وانعقاد مؤتمر فيينا في نفس السنة والذي فتح الباب على مصريه لواقع سياسي جديد داخل أوروبا تميز بهيمنة بريطانيا هيمنة بينة

فرنسا تاريخ قديم في الاستعمار، حين كونت لنفسها إمبراطورية استعمارية كبرى في نصف الكرة الغربي، ويسمى المؤرخون الفرنسيون هذه الإمبراطورية في التاريخ الفرنسي بالإمبراطورية الأولى، وقد أفل نجمها في سنة 1763م، حين أجبرت على التخلي عن كندا والهند لإنجلترا، في معاهدة باريس، التي أعقبت حرب السنين السبع (في شهر أوت سنة 1753 وهي حرب مزدوجة بروسية نمساوية روسية من ناحية وحرب انجليزية فرنسية من ناحية أخرى ودارت معاركها في ألمانيا الغربية شرق نهر الراين وفي وسط ألمانيا وفي بروسيا ، ثم تلاشت هذه الإمبراطورية تقريبا، إثر استيلاء البريطانيين عليها خلال الحروب النابليونية، بحيث لم تترك لها معاهدة باريس سوى محطات تجارية ضئيلة القيمة في الهند الصينية، وجزر ريونيون غويانا الفرنسية بأمريكا الجنوبية، والمحطات التجارية في غرب إفريقيا، وجزر الأنتيل في البحر الكاريبي وجزر سان بيير وميكالون بأمريكا الشمالية

وكانت فرنسا قد حاولت النزول إلى الميدان الاستعماري بالسيطرة على كندا وبعض أجزاء الهند الغربية، وسأيرت في ذلك الحركة الاستعمارية العامة التي اجتاحت كل أوروبا، وانتقلت من اسبانيا والبرتغال إلى بلدان غرب أوروبا في القرنين السادس عشر والسابع عشر، ولكن بريطانيا نافست فرنسا في الميدان الاستعماري في العالم الجديد، وتمكنت من الاستيلاء على كندا ومن مضائق فرنسا في مستعمراتها ومراكزها الاستعمارية في الهند والمحيط الهندي، واستمر التنافس الاستعماري البريطاني الفرنسي.

بعد ذلك، إلا أن نشوب الثورة الفرنسية قلل الأوضاع والنظم السياسية والاقتصادية في العالم ودخل بالتنافس الفرنسي البريطاني إلى ميدان جديد

وقد خرجت فرنسا من مجموعة الحروب الأوروبية وأبرزها حرب السبع سنوات 1753 وحرب الوراثة الإسبانية منذ سنة تكتب في التمهيش امتدت حروب الوراثة الإسبانية عبر سنوات طويلة منذ سنة 1668 حتى معاهدة أوترخت 1713، ومرت بمراحل متعددة، هي مرحلة الحصول على الإرث الفرنسي في الفلاندر، ثم مرحلة الحرب ضد هولندا، وتطور ذلك إلى إنشاء عصابة، أو تكتل ضد فرنسا، ثم نشوب الحرب بعد ذلك في سنة 1701، والتي استمرت لمدة ثلاثة عشر سنة 1668 حتى معاهدة أوترخت سنة 1713، وهي مجردة من مناطق نفوذها في أوروبا ومن مستعمراتها فيها وراء البحار. في حين أصبحت إنجلترا، بفضل قوتها البحرية الكبيرة سيدة البحار في العالم، فانتزعت من فرنسا مناطق تجارتها وجردتها من مستعمراتها، وظهر بوضوح أن تفوق القوات الفرنسية في البر، قد عجز عن منافسة القوات الانجليزية في البحر، غير أن انفجار الثورة الفرنسية سنة 1789، قد ضمن لفرنسا تأمين موارد بشرية ضخمة، عبرت عنها الحروب النابولونية أفضل تعبير، ولم تفلح فرنسا في كل حروبها باقتحام الحصار الاقتصادي الذي فرضته عليها إنجلترا، فاستمرت في البحث، عن أسواق لتجارتها وعن موارد المواد الأولية لصناعاتها

تطلعت فرنسا بعد معاهدة 1815 إلى تحقيق إنجاز يعيد إليها ما فقدته من عظمتها ومجدها، ذلك لأن تلك المعاهدة، وما سبقها من حروب نابليون، أضاع منها الكثير من امبراطوريتها وسلطانها

وقد كان الوجود الفرنسي في منطقة السنغال وجودا بسيطا، رغم اهتمام فرنسا بهذه المنطقة، ويرجع أول اتصال لفرنسا بغرب إفريقيا إلى القرن السابع عشر، وبدأت نشاطها الاستعماري هناك، بإقامة مراكز ومحطات تجارية للاتجار بالرقيق واستخدامهم في الحروب، وكانت مراكزها الرئيسية الأولى بالسينغال وأهمها مركز سان لوي قرب مصب نهر السينغال، الذي اتخذته التجار الفرنسيون قاعدة لنشاطهم التخريبي والتسلل إلى داخل القارة، بحثا عن المعادن والعاج، واقتناص العبيد ونقلهم إلى أسواق النخاسة في أمريكا الشمالية

ومع استلاء فرنسا على الجزائر وبدء توسعها في الصحراء صوب الجنوب الغربي، زادت أهمية السنغال بالنسبة لهذه العملية العسكرية، وإمكانية تظافر مجهودات القوات الفرنسية في الجزائر مع قوات فرنسية أخرى تأتي من السنغال

ثانيا- مؤتمر برلين الأول واستعمار غرب أفريقيا.

قبل توقيع وثيقة برلين، كانت القوى الأوروبية قد تحصلت على مناطق نفوذ بأفريقيا بطرق شتى، مثل الإستان، الاستكشاف، إنشاء المراكز التجارية ومستوطنات التبشير، واحتلال المناطق الإستراتيجية وإبرام المعاهدات مع الحكام الإفريقيين، أما بعد المؤتمر قد

أصبح النفوذ عن طريق المعاهدات أهم أسلوب من أساليب تنفيذ تقسيم القارة على الورق، وكانت هذه المعاهدات تتخذ شكلين، أحدهما معاهدات بين الأفريقيين والأوروبيين وثانيهما بين الدول الأوروبية ذاتها، وقد أدت المعاهدات التجارية إلى احتكاكات نجم عنها بدورها التدخل السياسي الأوروبي في الشؤون الإفريقية وكذا المعاهدات التي تخلى الحكام الأفريقيون بمقتضاها ضمنيا عن سيادتهم مقابل الحماية، أو تعهدوا بموجها بعدم الدخول في التزامات تعاهدية مع الدول الأوروبية الأخرى .

وفي خضم هذا المناخ من المزاخمة بين القوى الاستعمارية الذي سيطر عليه الشك والريبة والتوتر، خاصة بين فرنسا وبريطانيا من جهة والبرتغال وألمانيا من جهة أخرى. اقترحت هذه الأخيرة عقد مؤتمر دولي لتأكيد سيطرتها على حوض نهر الكونغو، وقد لبثت الدول الأوروبية هذا الاقتراح لتقسيم القارة الإفريقية فيما بينها، من دون اعتبار لآراء الأفريقيين أنفسهم وبذلك عقد في برلين مؤتمر دولي بين 15 نوفمبر 1884م، إلى 26 فيفري 1885، عرف باسم مؤتمر الكونغو للتباحث في شأن السيطرة الأوروبية الاستعمارية على غرب إفريقيا، حضرته 14 دولة، كان على رأسها بريطانيا وفرنسا والبرتغال وبلجيكا وألمانيا، أما باقي الدول فشاركت من دون أن يكون لها دور فعال في القرارات ومنها: النمسا والدنمارك وإيطاليا وروسيا والسويد والنرويج والدولة العثمانية والولايات المتحدة، أما الغائب الرئيسي في هذا التجمع الدولي، فكان الشعب الإفريقي نفسه الذي لم يكن ممثلا بالكامل في أي من المباحثات التي جرت

ويلاحظ اشتداد حرب الشركات الاحتكارية الأوروبية فيما بينها، إذ سارعت الدول الكبرى الأوروبية -المعنية باستعمار إفريقية- إلى تكوين شركات للسيطرة على أجزاء من أرضها في الداخل والساحل، مستندة إلى المعاهدات التي كانت تعقد مع رؤساء القبائل، كما سارعت إلى رفع الأعلام الخاصة بها على أية أرض يمكن السيطرة عليها، الأمر الذي ضاعف من سرعة تمزيق إفريقية واقتسامها بين الدول الأوروبية

بعد أن وضعت الدول المشاركة في مؤتمر برلين أسس تقسيم القارة الإفريقية، بدأت في تنفيذ خططها لتقسيم القارة، فبدأت بريطانيا في جوان 1885م، بتكوين محمية لها على مجرى النيجر، وفي المنطقة الواقعة بين لاغوس ودولة الكاميرون، ثم توسعت شمالا لتصل إلى الدول الإسلامية في إمبراطورية الفولاني ودخولها في صراع، مع هذه الممالك الإسلامية. وفي عام 1893م، تأسست مستعمرات فرنسية في ساحل العاج وفي غينيا الاستوائية، ودخلت القوات الفرنسية داهومي وعزلت ملكها "بهانزين Behanzin"، وهو آخر ملوكها المستقلين، وصارت داهومي مستعمرة فرنسية في أوائل القرن العشرين، ثم بدأ التوسع الفرنسي الكبير في غرب أفريقيا في حوض نهر السنغال

كان لفقدان الألزاس واللورين لصالح ألمانيا في حرب 1870، الأثر الكبير في إثارة الشعب الفرنسي نحو إظهار أنهم مازالوا أقوياء، وقادرين على التوسع واستكمال مهمتهم الاستعمارية التي

قالوا عنها أنها "حضارية"، وبدأت هذه السياسة الفرنسية تنفذ مشاريعها في غرب إفريقيا، حيث أخذ التجار الفرنسيون يشقون طريقهم إلى داخل أفريقيا الغربية في حوض نهر النيجر، بمد خط حديد، يمكنهم من السيطرة واستغلال منتجات غرب القارة

ثالثا - أفريقيا الغربية الفرنسية:

كانت فرنسا أكثر الدول الأوروبية نشاطا في غرب أفريقيا، حيث بدأ نشاطها في صفة رحلات استكشافية أوصلتها إلى السنغال، بقصد تأسيس محطات تجارية في سواحلها، وترتب على ذلك تكوّن ما عرف باسم: "أفريقيا الغربية الفرنسية"، التي شكلتها فرنسا من حكومة عامة تضم في فيدرالية واحدة ثمانية مستعمرات هي: السنغال، وموريتانيا، السودان الفرنسي (مالي الحالية)، غينيا الفرنسية، ساحل العاج، فولتا العليا (بوركينا فاسو الحالية)، داهومي (بنين حاليا) والنيجر

وبذلك، استطاعت فرنسا في فترة وجيزة أن تحكم سيطرتها على تلك المناطق الشاسعة من غرب القارة ووسطها، وأن تؤسس أفريقيا الفرنسية الغربية وأفريقيا الفرنسية الاستوائية، وأن تقسمها سواء في حوض كونغوا أو في منطقة الغابون أو في وسط القارة، وكان هذا التنافس مع غيرها من الدول الأوروبية التي على قدم وساق لبسط السيطرة على كل المناطق الأفريقية. استطاعت فرنسا بفضل نشاط دبلوماسيتها، أن تعقد المعاهدات وأن تتفق مع الزعماء، على بسط نفوذها وحمايتهم تارة بالإقناع وأخرى بالتهديد والوعيد، وبعد أن حكمت قبضتها على زعماء الداخل سلما أو حربا، راحت تتفق مع القوى الأوروبية الأخرى التي عقدت معها المعاهدات لتحديد مناطق النفوذ، ولقد شهد الربع الأخير من القرن التاسع عشر سلسلة ضخمة من المعاهدات والاتفاقيات، انتهت بتقسيم القارة الإفريقية بين هذه الدول الأوروبية

رابعا - الاستعمار الفرنسي في السنغال

إذا حاولنا تلخيص السياسة الفرنسية في غرب أفريقيا حتى منتصف الخمسينيات من القرن التاسع عشر، سنجد بأن السنغال والتي تأسست في عام 1626م، هي المستعمرة الرئيسية، لذلك بذلت الجهود لتطورها والاهتمام بها، دون غيرها من المناطق وكانت الفكرة الرئيسية هي العمل على تأمين المستعمرة، وعدم التوسع في ضم المزيد من الأراضي

عيّن الفرنسيون في عام 1854م، الجنرال "فيدهربر Feidherbe"، حاكما على السنغال، ليدعم نفوذ بلادهم فيها، ولما شرع في يتوغل نحو الداخل، اصطدم بكل من الممالك الإسلامية، التي كانت قائمة هناك، وبقبائل الطوارق والسنوسيين وغيرهم، كما اصطدم ببعض الزعامات الأفريقية مثل الزعيم أحمدو شيخوزعيم قبائل التكلور، ورايج الزير الذي كان قد تقدم من دارفور بالسودان، واستطاع إخضاع سلطنة برنو ووصل إلى جنوبي بحيرة تشاد

ابتداء من عام 1854، صار نفوذ فرنسا قويا بالسنغال، حيث تمكن الغزاة الفرنسيين من السيطرة على كوتونوبورتو نوفو بالداهومي، وأقاموا قلعا حربية ووكالات تجارية هناك، ورفضوا أن يمثلوا لقوانين البلاد، ويدفعوا الضرائب السنوية المطلوبة منهم لزعماء القبائل.

كما أن نابليون الثالث أطلق العنان للمغامرين الفرنسيين، الذين حوّلوا السنغال إلى مستعمرة حقيقية، إذ زحفوا منها إلى الداهومي وأعلى النيجر، واحتلت قواتهم العسكرية في الفترة من عام 1881 إلى 1883م، كامل المنطقة الممتدة من منابع النيجر إلى تمبكتو بمالي

وبعد مؤتمر برلين الأول، قد نشطت فرنسا نشاطا كبيرا في توسعها في غرب أفريقيا بالصبغة العسكرية، فاتخذت من السنغال قاعدة لها للانطلاق والتوسع نحو المناطق الداخلية، ووفر لها نهرا السنغال والنيجر طريقا للتوغل داخل القارة، كذلك تمكنت قواتها من اتخاذ ساحل غينيا قاعدة للانطلاق نحو المناطق الداخلية، لكل من داهومي وساحل العاج، وبذلك نستطيع أن نلخص الغزو العسكري الفرنسي لغرب أفريقيا بعد مؤتمر برلين في طريقتين. الطريق الأول: من السنغال المستعمرة القديمة التي اتخذت قاعدة الانطلاق والتوغل نحو تشاد والنيجر.

الطريق الثاني: من ساحل غينيا، حيث توغلت فرنسا في المناطق الداخلية لداهومي وساحل العاج، وبذلك أمكنها ربط مستعمراتها في الغرب الإفريقي بعضها ببعض الآخر وهكذا عن طريق القوى العسكرية استطاع فيدهرب مد حدود مستعمرة السنغال من جهة الجنوب بإجباره القوى الوطنية على توقيع معاهدات حماية مع الفرنسيين واستكمالا للتوسع نحو الجنوب تطلع فيدهرب إلى مد النفوذ الفرنسي في منطقة هامة هي التي عرفت باسم منطقة أنهار الجنوب، فبنى حصن في جوان 1860، وعين مندوبا فرنسيا في بونجو وذلك بحجة تأمين وحماية التجار الفرنسيين كما حاول مد نشاطه نحو المناطق الداخلية من الساحل أي نحو فوتاجالون وأرسل الملازم لامبير Lambert عام 1860 إلى المنطقة، ولكن وزير المستعمرات شاسلوب لم يسمح له باتخاذ خطوة ايجابية في هذه المنطقة وذلك خوفا من تشتيت جهود فرنسا والتركيز أولا على تدعيم السيطرة الفرنسية على السنغال ولذلك لم تتخذ فرنسا سياسة ايجابية اتجاه المنطقة إلا بعد عام 1863

خامسا - السياسة الاستعمارية الفرنسية في السنغال.

اختارت فرنسا لتدعيم وتثبيت أسس قاعدتها الاستعمارية الموجودة في السنغال، وتوسيع نطاقها صوب الداخل الأفريقي، الجنرال "لويس فيدهرب Louis Faidherbe"، الذي كان قد عمل لعدة سنوات في محاربة الوطنيين الجزائريين في بلادهم، وتم تعيين هذا الضباط السامي حاكما على السنغال في عام 1854م. فآتم غزو منطقة حوض السنغال، وكان ذلك تمهيدا لإجبار الأهالي هناك على العمل في الزراعة، وبخاصة زراعة محصول الفول السوداني، كونه مادة أساسيا في إنتاج الزيوت اللازمة لفرنسا

حقّق الجنرال "فيدهرب" لفرنسا أطماعها الاستعمارية في غرب أفريقيا، وبلور أهدافها التوسعية، حيث أرسى دعائم الوجود الفرنسي الاستعماري في تلك المنطقة قبل فترة الصراع الاستعماري الأوربي على القارة الأفريقية.

كما وضع سياسة عامة للتعامل مع القوى الوطنية المختلفة، قامت على شعار "إما السلام أو الحرب". أي أنه فرض على القوى الوطنية المختلفة التعاون معه، والاستسلام للنفوذ الفرنسي، فالجهة التي لا ترضخ له ليس أمامها سوى الدخول في حرب ضده، وقد عمل على تطبيق هذه السياسة منذ وصوله إلى السنغال، وكان أهم عمل قام به في تطبيق هذه السياسة هو تأمينه لحدوده المستعمرة ضد هجمات القبائل الموريتانية التي هددت المستعمرة من جهة الشمال، وقبائل التكرور من الشرق

والعجيب في الأمر، أن السياسة الاستعمارية الفرنسية بنيت على بعض المبادئ البراقة في مظهرها التي أعلنتها الثورة الفرنسية، فقد استند الفرنسيون إلى شعار أن جميع سكان المستعمرات يجب أن يكونوا مواطنين فرنسيين، لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات. وعلى هذا الأساس قامت نظرية الامتصاص أو الاستيعاب الاستعمارية، والمقصود بها صبغ المستعمرات بالصبغة الفرنسية عن طريق فرض ثقافة الفرنسيين (استعمار ثقافي)، ولغتهم وتقاليدهم، ونظمهم الاجتماعية والسياسية على الإفريقيين، حتى يستوعبونها تماما فيصبح تفكيرهم واتجاههم في مختلف نواحي الحياة تماما كالفرنسيين. ويتطلب هذا بالطبع، قطع كل صلة للمواطن الأفريقي بتاريخه القومي، وحضارته الأفريقية بمختلف مظاهرها ومقوماتها، ثم يتشرب تدريجيا الثقافة الفرنسية، بما يتصل بها من تقاليد ومظاهر حضارية، ويرتبط تاريخيا واجتماعيا وسياسيا بما يسمى "الأم الكبرى فرنسا"

وقد اتخذت السنغال كقاعدة للعمليات الحربية الاستعمارية الفرنسية، وأعيد تنظيم إقليم السنغال عام 1860م. أدى التنافس الاستعماري الأوروبي إثر مؤتمر برلين 1884/1885، إلى الكثير من الهجمات الاستعمارية، التي طالت غرب أفريقيا، بدءاً بفرنسا وتقدمها في السنغال لبسط سيطرتها على السودان، كما احتلت غينيا وتمسكت بساحل العاج. في مطلع القرن العشرين، صارت فرنسا تحتل منطقة تعادل ثمانية أضعاف حجمها أو ما يعادل نصف الولايات المتحدة

أثرت الحرب السبعينية على المصالح الفرنسية غرب أفريقيا وانعكس ذلك بوضوح على النفوذ الفرنسي، وتمثل ذلك في هجر فرنسا لمنشأتها وسحب فرقها العسكرية منها، حيث انسحبت الفرق الفرنسية من مستعمرة السنغال والمستعمرة الرئيسية في غرب أفريقيا مما شكل خطرا على المنطقة بأسرها الهام

وقد كان أشهر سلاح استخدمته شعوب غرب إفريقيا هو سلاح التمرد والثورة على المحتل الأجنبي. ومن أبرز تلك الثورات نذكر: ثورة محمد الأمين في السنغال فيما بين 1885-1887م، وثورة فودة سيلا ملك كومبو، الذي كان شيخ طريقة صوفية، وفودة كابا الحاكم المسلم لينيا مينا وأقاليم الكازامانس في غامبيا في الفترة من 1898-1901، وثورة ضريبة الأكواخ في سيلاليون بقيادة باي يوريه في 1898، وثورة الأشانتيفي عام 1900 في ساحل الذهب، بقيادة الملكة نانايأساتتيوا، ملكة إدويسو، وثورة الإيكوميو في 1898-1900، وانتفاضة الآروفي شرق

نيجيريا في الفترة من 1898 إلى 1902 ... إلخ. والجدير بالذكر أن تلك الثورات العديدة ازدادت حدة إبان الحرب العالمية الأولى

وفي الجانب السياسي، كانت السنغال وداهومي أهم المستعمرات الفرنسية في غرب أفريقيا، التي شهدت بعضا من النشاط السياسي الأفريقي، في فترة ما بين الحربين. وكان "بليز دياني" أول سياسي سنغالي ينشئ تنظيما سياسيا، هو الحزب الاشتراكي الجمهوري في عام 1914م، ليضم مختلف الجماعات الإثنية في دكاروسان لوي، في وقت كان السينغاليون فيه ينزحون إلى المناطق الحضرية، وفي تلك الفترة أيضا كان نفوذ الرؤساء التقليديين في انحسار، وأصبح المرابطون (شيوخ الطرق) يشكلون قوة سياسية واجتماعية جديدة في المناطق الريفية، كما تزايد الاستياء بين صفوف الكتبة، ومعلمي المدارس السنغاليين الشبان

خاتمة

استغلت فرنسا انعقاد مؤتمر برلين في عام 1884م، فبادرت بإعلان حمايتها على مناطق نفوذها في غرب أفريقيا استنادا للمعاهدات والاتفاقات السابقة التي عقدتها مع التجار، وعقدها المبشرون الفرنسيون مع زعماء القبائل في غرب أفريقيا. وهكذا أنشأت فرنسا منذ عام 1899م منطقة استعمارية واسعة في غرب إفريقيا عن طريق الغزو والقهر، وأعدت تنظيمها في عام 1904م، فأصبحت تتألف من اتحاد فيدرالي يشمل 8 دول، له حكومة عامة في سان لوي بالسينغال، وعاصمة اقتصادية في مدينة دكار ومينائها.

واستطاعت فرنسا في فترة وجيزة أن تحكم سيطرتها على مناطق شاسعة من غرب القارة، وأن تؤسس مجالين حيويين لها الأول عرف باسم "أفريقيا الفرنسية الغربية" والثاني "أفريقيا الفرنسية الاستوائية". كما تمكنت بفضل دهاء دبلوماسيتها أن تعقد المعاهدات لتحديد مناطق النفوذ. وقد غير الاستعمار الفرنسي الكثير من ملامح إفريقيا الغربية، وخصوصا في مجالات الاقتصاد والاجتماع والسياسة، وحاول أن يصبغها بصبغة تتفق ومصالحه وتطلعاته إلى غاية يوم الناس هذا، لا يزال السنغال وبعض المستعمرات الفرنسية بالرغم من استقلالهم في ستينيات القرن الماضي، في تبعية ثقافية ولغوية واقتصادية لفرنسا. هوامش :

Bibliographie

- يعي بوعزيز، الاستعمار الأوروبي الحديث في إفريقيا وآسيا وجزر المحيطات، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص. 20.
- محمد حبيدة، أوروبا في القرن 19، نابوليون، ط 1 دار أبي الرقراق، الرباط، 2021، ص. 15.
- يعي بوعزيز، الاستعمار الأوروبي الحديث في إفريقيا وآسيا وجزر المحيطات، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص. 29.
- شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ط. 2، دار الزهراء، الرياض، 2002، ص. 45.

- محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريدة، المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة، ط 1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2007، ص 164.
- يعي بوعزيز، الاستعمار الأوروبي الحديث في إفريقيا وآسيا وجزر المحيطات، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 5، 6.
- محمد عبيدة المرجع السابق ص 16.
- جلال يعي التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الأولى، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية د س ص 146، 147.
- جلال يعي، التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الأولى، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، القاهرة، د.س، ص. 341.
- زاهرياض، استعمار افريقية، الدار القومية، القاهرة، 1965، ص. 153.
- جلال يعي، المدخل إلى تاريخ العالم العربي الحديث، دار المعارف، مصر، 1965 م، ص. 87.
- جلال يعي التاريخ الأوروبي، المرجع السابق، ص 65.
- بسام العسلي، المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي (1830-1838)، ط 1، دار النفائس، 1980، ص. 47-48.
- عبد العزيز سليمان نوار وعبد المجيد نعنعي، التاريخ المعاصر، أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، دار النهضة العربية، بيروت، 1973 م، ص. 137.
- أحمد الجزائري، كيف دخل الفرنسيون الجزائر، تقديم: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1962، ص. 5.
- جلال يعي تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية 1999 ص 260.
- يعي بوعزيز، المرجع السابق، ص 38.
- جلال يعي تاريخ أفريقيا المرجع السابق ص 260.
- أوزويغوي، تقسيم أفريقيا وغزوها على يد الأوروبيين - نظرة عامة -، أفريقيا في ظل السيطرة الإستعمارية 1880-1935، المطبعة الكاثوليكية، لبنان، المجلد السابع، 1990، ص 52.
- لقد ترتب على عملية التقسيم العشوائي لقارة أفريقيا في مؤتمر برلين من جراء التطاحن الاستعماري، أن السكان الذين ينمون إلى سلاله واحدة كان نصيبهم في كثير من الأحيان، أنهم قسموا بين أكثر من دولة، وترتب على هذا إخلال بالتكوين الطبيعي للشعوب الإفريقية، فالأرض التي يسكنها شعب واحد وصنعت تحت حكم دولة أجنبية مختلفة ينظر: ماهر عطية شعبان، مشاكل افريقية معاصرة، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2011، ص. 308.
- محمد فاضل، علي باري وسعيد إبراهيم كريدة، المسلمون في غرب إفريقيا. تاريخ وحضارة، ط 1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2007، ص. 150.
- عبد العزيز سليمان، المرجع السابق، ص. 322.
- محمد فاضل، المرجع السابق، ص. 159-160.
- . المرجع نفسه، ص 159.
- شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص. 280.
- محمد فاضل، المرجع السابق، ص. 162.

- إلهام محمد علي ذهني، جهاد الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1850-1914)، دار المريخ، الرياض، 1988، ص. 61.
- شوقي عطا الله جمل، المرجع السابق، ص. 280-281.
- يعي بوعزيز، المرجع السابق، ص. 42-43.
- إلهام محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص. 79.
- محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريدية، ط1، دارالكتب العلمية، لبنان، 2007، ص. 89.
- جلال يعي، المرجع السابق، ص. 260-261.
- عصمت عبد اللطيف دنرش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا 430-415هـ، 1038-1121م، ط. 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988، ص. 44.
- إلهام محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص. 83-84.
- شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص. 287-288.
- فرغلي علي تسن هريدي، تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر (الكشوف، الاستعمار، الاستقلال، ط. 1، العلم والإيمان، القاهرة، 2008، ص. 152.
- محمد علي ذهني المرجع السابق ص. 63.
- مبداء غويو. أدوبواهن، المبادرات والمقاومة الإفريقية في غرب أفريقيا (1880-1914)، السونسكو، أديفرا، لبنان، 1990، المجلد السابع، ص. 150.
- محمد علي القوزي، في تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، ط. 1، دار النهضة العربية، لبنان، 2006، ص. 223.